وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامـــعـــة تكريت

كـــلـــيـــة الاداب

قـــسم الاجتـــماع

المجتمع العراقي

المرحلة الأولى

م.م. أنور توفيق عبد

الفصل الاول

يهدف هذا الفصل الى مراجعه اراء واحكام وتخمينات لاحد رواد علم الاجتماع في العراق (الدكتور علي حسين الوردي) فيما يخص ظواهر ومشاكل اجتماعيه عراقيه درست قبل ربع قرن او اكثر، من اجل التحقيق من مصداقيتها ودقتها في تشخيص واقع المجتمع او اخفاقها من خلال فرضياته التي استعملها، فضلا عن ان نقده لبعض سلبيات الحياه الاجتماعيه العراقيه يبدا من العقد الثالث من هذا القرن وينتهي في نهايه العقد السادس.

ويعلم الجميع ان فرضيات الوردي شغلت المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن وجعلته يدخل في مناقشات وتحليلات فسيولوجيه عني بها النقاد والكتاب والمفكرون في ذلك الوقت وقد يعود ذلك الى عمق الموضوعات والاراء والاحكام التي قدمها الوردي في بناء المجتمع العراقي او في ميراثه الاجتماعي والى طريقه تقديمها باسلوب سلس بعيدا عن تقنيات العلم المنهجيه والتنظريه والى جرائه الباحث في تناول موضوعات اجتماعيه يتردد الاخرون في تناولها او يتعادى البعض على الخوض فيها يدعو ان الباحث العلمي يجب ان يتناول موضوعات تعني المجتمع الانساني بشكل عام. يبدو ان الوردي غار في اعماق المجتمع العراقي ودرس ظواهر العامه والخاصه المتناقضه والمنسجمه ورصد الامراض الاجتماعيه وليس الرفاهيه والسعاده الاجتماعيه.

وسوف نراجع اراء الورد واحكامه وتعميماته من وجهه نظر اجتماعيه متخصصه من خلال عدم استخدام اقيمه لا تمثل مده دراسه الورده، او من نتائج احداث اجتماعيه ظهرت في اعقاب تغيرات اجتماعيه وحضاريه حصلت في المجتمع العراقي في العقدين السابع والثامن من هذا القرن، بل اقيمه تمثل مكانها وزمانها.

نطرح الان الفرضيات ونناقشها في ضوء منطقها وبيئتها وهي ما ياتي :

الفرضيه الاولى

صراع البداوه والحضاره

ومفادها ان الشعب العراقي واقع بين نظامين متناقضين القيم الاجتماعيه قيم البداوه الاتيه اليه من الصحراء المجاوره وقيم الحضاره المنبعثه من تراث الحضاره القديم المتوقع في مثل هذه الحاله ان يعاني الشعب صراعا اجتماعيا ونفسيا على توالي الاجيال فهو من ناحيه لا يستطيع ان يطمئن الى قيمه الحضريه زمنا طويلا لان الصحراء تمتد بين اونا واخرى بالموجات التي تفسد عليها طمائنينته الاجتماعيه وهو من الناحيه الاخرى لا يستطيع ان يكون بدويا كابن الصحراء لان الحضاره المنبعثه من وفره مياه وخصوبه ارضه

تضطر الى تغيير القيم البدويه الوافده اليه لكي يجعلها ملائمه لظروفه الخاصه من الجائز ان يكون طبيعه الشعب العراقي شعب حائرا فقد انفتح امامه طريقان متعاكسان وهو مضطر الى ان يسير فيهما في ان واحد فهو يمشي في هذا الطريق حين ثم يعود ليمشي في الطريق الاخر حين اخر{ دراسه المجتمع العراقي، ١٩٦٥ص١٣} في ضوء هذه الفرضيه الاحتماليه نستخرج متغيراتها العلميه

أ- قيمه الحضاره المنبعثه من تراث المجتمع العراقي الحضاري القديم تمثل متغيرا مستقلا (اي سبب)

ب- قيمه البداوه تمثل متغير مستقلا ايضا.

ج- المد والجزر بين قيمه البداوه وقيمه الحضارة (يمثل متغير معتمد اي النتيجه)

ان الحضاره المنبعثه من وفره مياه العراق وخصوبته تلزم الشعب العراقي في تغيير القيم البدويه الوافده اليه لكي يجعلها ملائمه لظروفه الخاصه وهذا يعني انه لا يوجد صراع بل ان قيمه البداوه الوافده الى العراق تتكيف بطريقه العيش الحضريه لكي تكون ملائمه لظروف القيم المدنيه هذه الفرضيه قدمها الوردي عام ١٩٦٥ والفرضيه نفسها قدمها بشكل مختلف في عام ١٩٧٤ ومفادها ما ياتي ((ان المجتمع العراقي عاش طيله العهد المغولي والتركي في فتره (مظلمه) من الناحيه الحضاريه حيث كانت الحكومه المركزيه لا يهمها سوى جبايه الضرائب فتركت الناس يفعلون بانفسهم ما يشاؤون حتى شاعت بينهم المعارك القبليه والغزو والنهب وقطع الطريق والثار السكان الى التماسك بالعصبيه والقيم البدويه لكي يحافظ على ازواجهم واموالهم ولم يقتصر هذا الامر على العشاء فقط بل شمل اهل المدن كذلك اذ صاروا يحملون السلاح للدفاع عن انفسهم تجاه العشائر المجاوره وظهر بينهم رؤساء محليون على شاكله الشيوخ العشائر وبدا اصبح القانون معطلا في ضبط الامن وحل محله العرف العشائري المستمد من القيم البدويه وظل العراق يعيش على هذا الوضع حتى منتصف القرن التاسع عشر واذ ذاك بدا تيار حضاري جديد تمثل في نمو السلطه الحكوميه ولكن هذا التيار كان يسير ببطء شديد وقد اخذت السلطه الحكومه تمنع بمد الخراب بشكل تصاعدي الى درجه .لا مجال لمقارنتها بما كانت عليه قبل الحرب وقد ساعدتها على ذلك وسائل السيطره الحديثه كالطائرات والمصفحات والمدافع المحموله مما جعل السكان غير قادرين على مجابهه الحكومه او محاربتها على نحو ما كانوا يفعلون سابقا فكان ذلك بدخول المجتمع العراقي في هذه المرحله الانتقاليه التي تعيش الان فيها والتي تتميز بشده الصراع بين قيم البداوه التي وردناها من ابائنا وقيم الحضاره التي جاءتنا مع التيار الحديث { لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ج٤-١٩٧٤-ص ٤٠٣}متغيرات هذه الفرضيه هي:

أ- ضعف الحكومه المركزيه (متغير مستقل)

ب- عدم اهميه القانون في ضبط الامن (متغير مستقل)

ج-قيم حضاريه جاءتنا مع التيار الحديث متمثله في نمو السلطه واستخدامها وسائل سيطره حديثه (متغير مستقل)

د- تمسك المجتمع العراقي بالقيم البدويه والتعصب لها(متغير معتمد اي النتيجه)

هـ- صراع قيم البداوه مع قيم الحضاره (متغير معتمد)

الملاحظه على هذه الفرضيات اختلاف نصها عن نص الفرضيه نفسها التي قدمها عام ١٩٦٥ والاختلاف جوهري وليس ثانوي لاسباب منها ما يلي في عام ١٩٦٥ عد الوردي الصراع الاجتماعي بين القيم البدويه والحضريه تتجه بسببين او متغيرين (قيم تراثيه تابعه من المجتمع العراقي والقيم بدويه وافده اليه من الصحراء المجاوره) ولم يتطرق الى اثر السلطه الحكوميه في تسبب الصراع بل سماه بالمد والجزر بين القيم البدويه والحضاريه لكنه انطلق من مده حكم المغول والاتراك والسلطه الحكوميه قبل الحرب العالميه الاولى بوصفه متغير جديد في تسبب التعصب القبلي فضلا عن ذلك فانه يؤكد ان القيم البدويه الوافده سوف تجبرها قيم المجتمع العراقي الذي يعيشه في منطقه مدينه حضريه على تغيرها لتكون ملائمه لظروفه الخاصه وعليه لا يحصل صراع بل ولا يحصل مد وجزر بين النمطين في شخصيه الفرد والمجتمع العراقي بل يحصل امتصاص او يمثل القيم المدنيه الحضريه للقيم البدويه.

اما نص الفرضيه فانه لم يحدد بدقه القيم الحضاريه فهل هي قيم الحضاره المنبعثه من تراث المجتمع العراقي او انها القيم الحضاريه الوافده الينا مع التيار الحديث المتمثله في نمو السلطه واستخدام وسائل السيطره الحديثه المتغير هنا اختلف ولا يمكن لاي فرضيه علميه ان تتضمن متغيرين مستقلين متناقضين في ان واحد فقد حصل اختلاف في المتغيرات ففي النص الاول للفرضيه عدا المجتمع العراقي حاملا قيما حضاريه متاصله وان البذور الوافدين من الصحراء المجاوره يؤثرون في قيم المجتمع العراقي وهذا يعني ان القيم البدويه وافده وان القيم الحضاريه متاصله في الضمير الاجتماعي العراقي بينما عد في النص الثاني من الفرضيه نفسها العكس حيث عدى القيم البدويه هي الاصل وهي الاطار المرجعي الذي يتماثل معها الفرد العراقي عندما يواجه سلطه اجنبيه وافده ومستغله له اجتماعيا واقتصاديا وهذا تناقض في نص الفرضيه الواحده يفتقر الى دقه متغيراتها وبالتالي اصبح هدف نصي الفرضيه الوصول الى تعميم اجتماعي حول الصراع الاجتماعي عبر الاجيال وهذا التعميم المطلق لا يؤخذ به في الدراسه الفسيولوجيه العلميه لانه لا توجد حقيقه مطلقه بل نسبيه.

فضلا عما تقدم فان النص الاول للفرضيه لم يذكر مصطلح الصراع ذكر مصطلح المد والجزر بين قيم البداوه (الوافده من الصحراء المجاوره) وبين (قيم الحضاره المتاصله في تراث المجتمع العراقي) ولم يذكر النص ايضا التعصب القبلي (لانه وافد من مجتمع خارجي) ولم يسميه بالتلاقح القيمي او التفاعل الاجتماعي

بل المد والجزر الذي يعني عدم التفاعل والتلاقح بيننا مطي القيم ولكن نهايه النص تفترق الى فكره المد والجزر حيث اكدت تغير القيم البدويه الوافده لكي تكون منسجمه ومتلائمه مع ظروف حياه المدينه وقيمها الحضريه وعليه لا يحصل صراع اقول ان عنوان الفرضيه لا يمثل او ينطبق على النص الذي اورده الاستاذ الوردي.

في حين يذكر النص الثاني (في عام ١٩٧٤) الصراع الاجتماعي الا انه لم يوضح ماذا يعني الصراع في هذه الفرضيه والذي يعني احترام او تنازع مصالح مجتمعين او جماعتين او نمطين من القيم من اجل البقاء في الوجود والذي ينتهي بالبقاء الاصلح او للاقوى.

يبدو الناس الافتراضي لم يوضح ذلك بل اوضح العلاقه المتاخره بين قيم البداوه وقيم الحضاره الى صله بسبب ضعف السلطه الحكوميه او بسبب قوتها ولم تصل برايين الفرضيه الى اثبات من هو الاصح او الاقوى بل افترض علاقه متنافره على توالي الاجيال وبالتالي يصل المجتمع العراقي الى مرحله الحيره وهذه مرحله لم يمر بها اي مجتمع انساني لا سيما ان لكل مجتمع فكره اجتماعيه وظروف شرطيه واهداف اجتماعيه تحدد مسيرته في الحياه الاجتماعيه.

ان السياق البحث يلزمني الا اخفى بهذا الصدد ذكر او اخذنا بالنص الاول للفرضيه لكانت النتيجه ان نهايه المد والجزر تكون ببقاء نمط القيم الحضاريه لانه متاصل في تراث المجتمع العراقي وان نمط القيم البدويه الوافده من الصحراء المجاوره زائل لضعفها امام نمط الحضاره ولعدم اصالتها في مجتمع مديني حضري.

ولو اخذنا بالنص الثاني اذا كانت نهايه العلاقه التنافريه (التي اسماها بالنص بالصراع الاجتماعي) ما ياتي:

أ- ان المجتمع البدوي يتعصب عندما يواجه تحديا طويا من قبل سلطه حكوميه قويه والعكس صحيح.

ب- ان القيم البدويه تتخلص تدريجيا اذا استقرت الدوله وقد تستغني عن العصبيه (هذا الافتراض قال ابن خلدون في مقدمته في الفصل الاول من الكتاب الاول).

ج- ان الرئاسه على اهل العصبيه لا تكون في غير نسبتهم (مقدمه ابن خلدون الفصل الثاني عشر من الكتاب الاول).

هذه الافتراضات تكون سليمه فيما اذا كان المجتمع بدويا لكن النص الاول للفرضيه اكد ان المجتمع العراقي القديم كان حضريا ويمتلك قيما حضريه وان القيم البدويه وافد عليه من الخارج في الواقع ان مفهوم الصراع المدى مع الحضاره اقتبسه الوردي من ابن خلدون (كما ذكر ذلك في كتاب لمحات اجتماعيه ١٩٦٩ ص ٢٩٧) واطلقه على العلاقه المتنافره بين قيم البداوه والقيم المدنيه هذا الاقتباس لم يكن مطابقا لمضمونه لان الاول (الصراع عند ابن خلدون) كان يعكس هجوم البدو على الحظر وتاسيس الدوله والصراع يحصل فيما بعد اقول بينما يجلبه الحكام (البدو) من قيم وبين قيم المدينه الحضريه حيث قال ((قد تشعل البداوه احيانا

صبغه دينيه من نبوه او ولايه او غيرها فتجمع شملهم وتجعلهم يهاجمون الحضاره ويؤسسون فيها الدوله)) (المقدمه طبعة لجنه البيان العربي ص ٤٥٦) وما قدمه الوردي تحت مفهوم الصراع هو تعصب البدو لقيمهم كلما ضعف تطبيق القانون من قبل سلطه حكوميه اجنبيه وكلما كانت السلطه المركزيه قويه في سلطانها وهذا يعني ان الصراع بين القيم البدو وقيم المدينه الحضريه غير موجود وانما متنافر فضلا عن ذلك فان هذا المضمون لا يشبه مضمون الصراع الذي جاء به ابن خلدون فيما يخص الصراع واخيرا هناك تنبا اورده الوردي يلفت نظر الاجتماعيين المحدثين اليه وهو ((نحن لا نتوقع من علماء الاجتماع المحدثين على اي حال ان يسهو في بحث البداوه على منوال ما فعله ابن خلدون فالرجل عاش في مجتمع تغلغلت البداوه فيه واثرت في تكوينه تاثيرا بالغا بينما هم عاشوا في مجتمع ليس للبداوى فيه مثل هذا التاثير)) (منطق ابن خلدون ١٩٧٧ص ٢٧٦) الا اننا وجدنا الوردي قد اسهب في تفسير السلوك الاجتماعي (العراقي او العربي) من خلال فرضته الاولى (صراع البداوه والحضاره) لدرجه انه وضع خارطه للمداوى الاجتماعيه لا الجغرافيه في الوطن العربي (١٩٦٥ ص ٨١) والغي جميع المؤثرات الاجتماعيه الحضاريه في تفسير السلوك والظواهر والمشكلات الاجتماعيه.

الفرضيه الثانيه

ازدواجيه الشخصيه

((تعني ان يسلك الانسان سلوكا متناقضا دون ان يشعر بهذا التناقض في سلوكه او يعترف به وهو ينشا عن وقوع الانسان تحت تاثير نظامين متناقضين من القيم او المفاهيم فهو يتاثر باحدى النظامين تاره وبالاخر تاره اخرى)) (لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ١٩٦٩ص ٣١٠١) اما متغيرات الفرضيه المستقله (السبب) فهي:

أ- النزعه الجدليه التي ورثها المجتمع العراقي عبر تاريخه مما جعله مثاليا في تفكير اكثر مما ينبغي نيالا للاطلاع والقراءه وتتسع الافق من الناحيه الذهنيه ولكن من الناحيه الاخرى تجعله مشتت الاهواء والاراء لا يستقر على مبدا واحد مده طويله ومن عيوب هذه النزعه انها تعلم الفرد ان يطلب من غيره اعمالا لا يستطيع هو ان يحققها في نفسه اي انه يطالب بالحقوق اكثر مما يقوم بالواجبات{ ١٩٦٥ص ٢٩١}.

ب- النشاه الاسريه: ((ان التربيه الاجتماعيه في المدن العراقيه تعلم الفرد ان يكون(سبعا) تجاه البشر و(مخنثا) تجاه القدر اي ان يكون مبالا الى التحدي والمغالبه في الوقت الذي يكون فيه مبالا الى التالب والخنوع)) ويضيف الورد الى ما تقدم فيقول ((لا يكاد الطفل في المدن العراقيه يفتح عينه للحياه حتى يجد نفسه وقد خرج الى الازقه ليله ويلعب مع اترابه من اطفال الجيران والمحله وهناك ينمو الجانب الواقعي في شخصيته

وهذا جانب عميق الجذور في تكوين شخصيته فاذا كبر الطفل اخذ الجانب الاخر ينمو فيه وهو الجانب المثالي المستمد من المواعظ الدينيه والمجادلات المنطقيه)) { ١٩٦٥ص ٣٠٤}.

ج- تناقض القيم الاجتماعيه المتضمنه العصبيه والنخوه وحق الجيره مع مبدا الحريه الفرديه والمساواه بين المواطنين.

اختبر الوردي متغيرات الفرضيه المستقله (الاسباب) فوجدها مفقوده عند البدو موجوده بشكل بسيط عند الريفي لكنها موجوده بشكل واضح عند المديني وخاصه عند الشرائح الاجتماعيه الاتيه:-

١- المتزمتين في التعاليم الدينيه.

٢- المتعلمين والمثقفين

٣- البيروقراطيين (رجال الاداره)

٤- السياسيين

الملاحظ على متغيرات الفرضيه انها شامله اقول تغطي افراد المجتمع العراقي كافه فالنزعه الجدليه والتنشئه الاسريه والكوارث والاوبئه والتناقض بين القيم والمبادئ يخضع لها جميع العراقيين في الباديه والريف والمدن (حسب منطق الفرضيه) ولكن عندما حاول الوردي اختبارها اوجدها عند بعض الشرائح الاجتماعيه المدينيه وليس الريفيه او البدويه وذلك راجع الى خضوع ابناء هذه الشرائح في عملهم الى مؤثرات مؤسسيه رسميه ذات تعليمات عقلانيه قائمه على الانجاز والتخصص مثل (المدرسه والكليه والجامعه والنقابه والحزب السياسي) او يخضع لتعليمات وعضويه ومنطقيه صادمه من ارشادات دينيه فمبدا الحريه الفرديه والمساواه بين المواطنين لا يتعلمها الفرد الا في مؤسسات رسميه لذا لم يجد الوردي الازدواجيه عند البدو ووجد القليل منها عند الريفي وهذا يعني ان المتغيرات الثلاثه الاولى ليس لها تاثير في بلوره الازدواجيه لان الورد وضع هذه المتغيرات المستقله كاسباب الازدواجيه عند العراقيين كافه ولكن عند البرهنه وجدها تنحصر في الشرائح المتعلمه والمثقفه والسياسيه والدينيه وهذا يعني ان الازدواجيه تتبلور فقط عند الافراد الذين يتعلمون في مؤسسات رسميه لانها تخضع لنظام تقسيم عمل قائم على التخصص والانجاز والكفاءه والمهاره لكي تخدم اهدافها التنظيميه وتتعارض مع اهدافها المؤسسات الاجتماعيه غير الرسميه (اسره او عشيره او قبيله او جماعه محليه او الحيزه) وهذا شيء طبيعي في كل المجتمعات التي تنمو وتتطور وحتى في شريحه المثقفين وجد الوردي ((ان البعض منهم قد انصهروا في الثقافه الحديثه انصهارا جعل ظاهرهم وباطنهم متقاربين ويبدو ان هؤلاء كانوا في طفولتهم غير منسجمين في الحياه الزقاقيه او شعر بالغزه منها لسبب من الاسباب فاعتزلوها وانهمكنوا في دروسهم او هواياتهم الانطوائيه ولهذا كانوا في سيرهم اقدم من غيرهم على التكيف للثقافه الحديثه اما الذين كانوا في طفولتهم من ابطال المحله وقاده المعارك فمن الصعب عليهم ان يتخلصوا

في كبرهم من تاثير القيم الزقاقيه فظلوا (اشقياء) كما كانوا غير انهم ينتزون شقاوتهم بطلاء بزاق من المصطلحات الحديثه(١٩٦٥ص ٣٥٧) وبذا فان صدق هذه الفرضيه في المجتمع العراقي جزئي وبسيط وليس كليا او جوهريا لانها لم تشمل افراد المجتمع العراقي كافه بحظره وليفه عباديته وهذا ما توصلت اليه دراسه الورد وفي ضوء ذلك نقترح الفرضيه الاتيه ((غالبا ما تتعارض مصالح الفرد الذاتيه مع مصالح واهداف المؤسسه الرسميه في المجتمع التقليدي))

الفرضيه الثالثه

التناشز الاجتماعي

يقول الوردي فيها((من طبيعه التغير السريع انه لا يؤثر في جميع اجزاء الكيان الاجتماعي بدرجه واحده فكثيرا ما يكون هناك جزءان مترابطان ثم يحدث التغير في احداهما دون ان يحدث في الاخر او هو قد يحدث في احدهما اسرع مما يحدث في الاخر فيؤدي ذلك الى صراع او توتر او تناقض بينهما (١٩٦٩ص ٢٨٨) وقد قدم الوردي عده اوجه المتناشز الاجتماعي هي ما ياتي:

أ- يطالب الفرد بحقوقه التي على الحكومه لكن لا يلتزم بحقوق الحكومه عليه (المتغير المستقل لهذا الوجه هو مفهوم الحكومه).

ب- ازدياد عدد المدارس بحيث عجزت الدوله عن استيعاب خريجيها (المتغير المستقل في هذا الوجه هو عدد المدارس).

ج- تاثير الشباب العراقي بوسائل الاعلام فيما يخص اختيار شريك الحياه في يميل الى الاختيار المبني على العلاقه الوجدانيه المسبقه الا انه بالتالي يحقق شروط النمر التقليدي الذي يتناقض مع ميله (المتغير المستقل هنا هو وسائل الاعلام).

د- عدم مجاوره رجال الدين للتغير الفكري الذي حدث في العصر الحديث (المتغير المستقل هنا الافكار الحديثه والمبادئ الجديده) الملاحظه على هذه الفرضيه انها لم تعمادها على شرائح المجتمع العراقي كافه بل التزمت بالشرط الموضعي ولا مناص من القول بان هذه الفرضيه انطلقت من تنافر الادوار الرسميه مع غير الرسميه اقول عدم انسجام ادوار الافراد الذين يعملون في التنظيمات الرسميه مثل الدوائر الدوله والمدارس والجامعات وسائل الاعلام مع ادوارهم خارج هذه التنظيمات اي في التنظيمات غير الرسميه مثل الاسره والزمره الصداقيه وابناء الجيره وابناء العشيره او القبيله التي تربط معهم روابط قربه او محليه او اقليميه وهذا التنافر الدوري قد يولد صراعا بين النوعين من الادوار وهي حاله موجوده في كل المجتمعات الانسانيه الحديثه وذلك راجع الى عدم انسجام حقوق وواجبات كل من الدورين بسبب خضوعها لاهداف وغايات

تنظيميه متباينه اي ان متطلبات الاسره قد لا تنسجم مع متطلبات النقابه المهنيه والشركه والجامعه فيحدث ما اسماه الوردي بالتناشزالاجتماعي .

انتهينا الان من عرض ومناقشه فرضيات الوردي وصدقها في المجتمع العراقي ننتقل الى ذكر منهجيته في دراسته لهذه الفرضيات التي تلخص نظره المجتمع العراقي في مرحله تاريخيه محدده امدها ربع قرن ففي فرضيته الاولى اختبس منطلقها من ابن خلدون والثانيه اخذ جوهرها من روبرت ماكيفروالثالثه على نتيجه نظريه وليم اوكبرن (١٩٦٩ص ٢٩٧).

مما لامراء فيه ان لكل باحث اجتماعي منهج ولكن منهج تقنيات او ادوات تمثل طريقه جمع المعلومات واسس تحليلها وتقنيات منهج الوردي هي:

١. الملاحظه المباشره
٢. اقوال شهود عيان للحدث الاجتماعي
٣. الاقوال الماثوره والحكم الاجتماعيه السائده في المجتمع العراقي بوصفها وسيله من وسائل الضبط الاجتماعي
٤. بعض الايات القرانيه واحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) واقوال الائمه بوصفها من وسائل الضبط الاجتماعي
٥. اقوال ابن خلدون
٦. المنطق الوضعي
٧. اداره المقارنه الثنائيه

الاطار النظري

وخليق بنا ان نوضح الاطار النظري الذي استند اليه في الدعم النظري للاحداث والظواهر الاجتماعيه العراقيه وهذا التزام منهجي متبع في الدراسات العلميه وهو ما ياتي:

١- نظريه الطبقه الفارغه لثورشتاين فبلن الذي يقول :(ان افراد الطبقه العليا او الطبقه الاستحواذيه تجاهد كثيرا في سبيل ابتكار الفوارق الاصطناعيه التي تميزها عن الطبقه الكادحه ومن اهم الفوارق في نظره هي اللغه فالاستحواذون يحاولون ان يظهروا امام الناس بانهم من اصحاب الفراغ ولذا تراهم يصرفون وقتا طويلا في تعلم قواعد النحو العويصة،اذا تكلموا التزموا بها وبدا يشعر الاخرون بالنقص إزاءهم) .(١٩٥٢ص٣٥٤)

استخدم الوردي هذا النص النظري لتفسير ظاهره اجتماعيه كانت سائده في المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن حيث قال:(ان نظريه فيلن يصح انطباقها اليوم على المتعلمين وانصاف المتعلمين في العراق فهم

يعيدون الان حجه الاجداد على وجه من الوجوه فلا يكاد احدهم يتكلم حتى تراه قد ملا كلامه بالكلمه الغامضه والمصطلحات الغربيه ولعله يستر ذلك ضعف من الناحيه العلميه وربما جاز القول انه كلما قلت معلومات الشخص ورحلت ثقافته اتجه الى المصطلحات الغامضه يتكلم بها في كل مجال ويقذف بها في كل مكان انه يندفع في هذا السبيل اندفاعا لا شعوريا يحاول ان يسد بذلك عقد كامله في اغوار نفسه تحفزه دوما نحو التميز والاستعلاء على غير اسس (١٩٥١ص ٢٥٦) لا باس ان تتحاور هنا مع هذين المنصين ان المنظر الامريكي (النرويجي الاصل- ثورشتاين فبلن- ١٨٥٧- ١٩٣٩) استخدم بعض الظواهر الاقتصاديه في تفسير الظواهر الاجتماعيه بنيويه فقد استخدم مفهوم الاستهلاك الظاهري المتبث الذي يمارسه ابناء الطبقه الفارغه (الغنيه) التي تشرب في استهلاك السلع والبضاع والملابس والاثاث المنزليه والماكولات والمشروبات لكي تعرض درجه تراها وغناها بهذا المجتمع فالاستهلاك الظاهري عند ابناء الطبقه الغنيه ما هو الا وسيله لتحقيق غايه وهي ابراز ثرائهم وغنائهم في المتعلمون وانصاف المتعلمين في العراق في الخمسينات لم تشكل طبقه اجتماعيه مترفه بل شريحه اجتماعيه متنوعه ومن البديهي انها تستعمل المصطلحات التي تقراها في الصحف والمجلات وتداولها فيهما بينها ولم تستنبط من طبق اجتماعيه لكي تعكس مستواها الاقتصادي بل تعكس مستواها التعليمي والثقافي فلا تواري عقد كامله في اغوار انفسهم تحفزهم دوما نحو التميز والاستعلاء على غير اساس.

اضف الى ذلك فان ابائهم واجدادهم لم يشعروا بالنقص كما لم تكن لديهم عقده كامله بل كانت لديهم ثقافه نابعه من بيئتهم الحليه وقد يجوز القول انه كما زادت معلومات الشخص وكثره ثقافته اتجاه الى الاستعمال المصطلحات كصوره من صور تفاعله مع الافكار التي يقراها او يحملها ولا تكون غامضه عند الاخرين لانه يتعامل مع الشريحه الثقافيه نفسها التي ينتمي اليها المتعلمون فلم يكونوا استحواذين كابناء الطبقه الفارغه (الغنيه) وهذا يعني ان التحليل الوردي لهذه الظاهره غير متجانس وغير متطابق مع منطق وتحليل فبلنفي الطبقه الفارغه التي استخدمها كاطار في دراسته.

٢- كارل منهايم: المنظر الثاني الذي اعتمد الوردي على نظريته القائله (ان الافكار البشريه على نوعين متضادين هما:

أ- الافكار المحافظه التي تؤيد النظام القائم.

ب- الافكار المعارضه التي تدعو الى نظام مثالي.

ويذهب مانهايم الى ان اصحاب المصالح القائمه هم عاده من اولي الافكار المحافظه وهم يدعون الى تدعيم الواقع الراهن فليس فيه الامكان ابدع مما كان وكان اصلاح يتعدى في رايهم مربكا للمجتمع نظامه القائم

(العقل البشري ١٩٥٥ص ١٦٦) وقد وجدنا نظره الورد للمجتمع الانساني قد اقتبست من هذا النص الذي قدمه مانهايم.

٣- المنظر الثالث الذي اعتمد الوردي عليه هو وليم كراها في قوله (ان المثل العليا سلاح المتذمرين، اما القيم الاجتماعيه فهي التي تستخدمها اولو النفوس في المجتمع لكي يدعموا بها نظامهم القائم ولو كان ظالما) جاء الورد بهذا النص لكي يقول (ان من خصائص كل دعوه اصلاحيه جديده انها تفرق الجماعه ذلك لان المترفين يقفون لها بالمرصاد ويقاومونها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.(١٩٥٥ص ١٦٧).

٤- دوارين وريز عندما قال (ان النتيجه المباشره لمشاريع الاعمار الجديده في العراق هي توسيع الشقه بين الاغنياء والفقراء فزياده الاموال لم تخدم سوى الاغنياء الذين زاد استهلاكهم للسيارات الضخمه ومكيفات الهواء والدور البادحه اما الضرائف (بيوت يعيش فيها الفقراء مبنيه من البرد والطين وسعف النخيل) فهي في ازدياد هائل.(١٩٥٧ص ٣٦٩) ذكرها الوردي ليقول (اني اشعر بالم كلما نظرت الى ظاهره عمرانيه جديده في العراق انها تعطي في نظري معنى التضخم في المال والترف لدى فئه قليله من الناس حيث لا يجني الباقون منها سوى غلاء الاسعار وانخفاض مستوى المعيشه) (١٩٥٧ص ٣٦٩).

واخيرا تناول موضوع نقد الوردي لبعض الظواهر والمشاكل الاجتماعيه التي سادت الربع الثالث من هذا القرن لا مراء ان النقد الفسيولوجي يعني النظره التقويميه لنمط سلوك الافراد او طريقه تفكيرهم في وضعيه اجتماعيه معينه او عند مواجهه موقف اجتماعي خاص او تسطيط الضوء على تناقضات ظاهره اجتماعيه سائده في المجتمع خاصه او تصفيه الضوء على تناقضات ظاهره اجتماعيه سائده في المجتمع او تنبيه الافراد الى انعكاسات سلبيه لمشكله اجتماعيه على شريحه اجتماعيه في المجتمع واختبارات نظريه اجتماعيه في مجتمعات او ثقافات متباينه في بنائها وتراثها وتاريخها او استخدام المنطق العلمي في تحليل بعض الوقائع الاجتماعيه جميع هذه الممارسات المعرفيه مطلوبه من الباحث الاجتماعي الملتزم بمنهجيه علم الاجتماع والمعروف ان علم الاجتماعات دخل الى العراق عن طريق جامعه بغداد في العقد الخامس من هذا القرن الى انه متخصصي هذا الحقل المعرفي في ذلك الوقت لم يتوقف عند مهمه تدريس الطلبه بل تفاعلوا مع تاريخ وتراث واقع المجتمع العراقي بشكل لافت للنظر مما شد مثقفي المجتمع وسار ابنائه الى الموضوعات التي قدموها في الصحف والكتب والتلفزيون والراديو فضلا عن ذلك فانهم عرفوا اهتمامات هذا العلم الحديث الى افراد المجتمع العراقي.

احد رواد هذا العلم في العراق هو الدكتور علي الوردي الذي لعب دور متميز مؤثر في تقويمه العديد من الماط السلوكيه والفكريه للمجتمع العراقي وتسليط الاضواء على تناقضات عديده فيه فضلا عن تنبيه الى اخطار بعض المشكلات الاجتماعيه التي كانت سائده في المجتمع العراقي فكان ناقدا لامعا في تقويمه وبناء

في تقديم بدائله التي كان يقدمها عند تقويم الاحداث الاجتماعيه وجزئيه في طرح موضوعات لم يتطرق اليها من قبل لانها ملتصقه بحياه تقليديه مليئه بالتخلف والجمود لذلك فان التطرق اليها لا يسلم من تجريح وتفريض او خطوره اعتباريه وخساره ماديه او طعون متعدده الجوانب وقد اتت هذه الانعكاسات السلبيه الى الدكتور الوردي وتقبلها ورد عليها باسلوب متواضع ملتزم بمنهجيه النقد.

اختار الورد يعد الظواهر اجتماعيه سلبيه كانت سائده في المجتمع العراقي في النصف الاول من هذا القرن ومما لا شك فيه انه لا يوجد مجتمع انساني خالي من سلم اجتماعي يعكس مواقع فئاته الاجتماعيه والمسافات الاجتماعيه التي بينها وقد اختار الوردي ثلاث حالات تمثل الفجوه الاجتماعيه بين الفئات العراقيه وهي:

اولا- الشيخ والفلاح: حيث كانت العلاقه بين الشيخ والفلاح قائمه على الاستغلال اي بين مالك ارض وفاقدها او بين مالك الانتاج والاعياد العامله التي يتحقق الانتاج بجهدها او بين المقربين من السلطه والمبعدين عنها وقد ارجع الوردي ذلك الى عاملين هما:

١- قوه الحكومه المركزيه في السيطره على المجتمع.

٢- تحديد الارض وتسجيلها باسم الشيخ (١٩٥٧ص ٣٧١)

اي ان الارض اصبحت ملكا خاصا للشيخ بقوه القانون وبحمايته ضد اي منافس يطمع في اغتصابها منه وبدا ذلك الشيخ عشيرته واستقر في العاصمه بغداد بتقرب فيها من الحكم ويعمل على تدعيم كيانه وكيانهم وهذا يعني ان الشيخ تركه وكلاء في القريه لشرفوا على استغلال رعيته ولا يزورها الا قليل فلم تبقى مصلحته الخاصه مرتبطه ارتباطا وثيقا لمصلحه قبيلته ولم ينال مكانته الاجتماعيه منها بمقدار ما يخدمها ويحرص على منفعتها بينما كان علاقه الشيخ بالفلاح في العهد العثماني قويه جدا وذلك راجع في راي الورد الى:

١- ضعف الحكومه المركزيه

٢- عدم وضوح حدود الاراضي لان معظمها غير مسجل

٣- استحواذ القبيله على الاراضي بالقوه واستثمارها لها

٤- سياده النظام العشائري

وفي ضوء ذلك فان الشيخ يتعاون مع الفلاح على زراعه الارض ويتقاسمان الحاصل بعد ذلك على اساس من العرف المتفق عليه ولم تكن حصه الشيخ من انتاج الارض الا ما كان يساعده على القيام بواجباته الزعامه المتعاونه عليها معنى ذلك ان الشيخ العشائري فقد وظيفته الاجتماعيه في الاستشاره والاعتبار الاجتماعي ولم يبقى متبوعا من ابناء عشيرته بل اصبحت مالك لوظيفه اقتصاديه مستغله يمارسها من اجل السيطره القصريه الالزاميه على فلاحيه ارض الذين كانوا في الاصل ابناء قبيلته وتحت هذا الوضع العلائقي المستغل خلقت الفجوه الاجتماعيه.

ثانيا: الفجوه بين الغني والفقير في المدينه: من خلال المنطقه السكنيه لكلا الفئتين بحيث اصبحت محلات طبقيه في كل مدينه عراقيه يقول الوردي في هذا الصدد ((اخذ الغني الحضري يتغير كما يتغير الشيخ الريفي وامسى لا يتحمل السكنه في وسط محلته بين العفن والروائح الكريهه وهو لا يكاد يرى الفرصه سائحه له حتى يفر الى احد الضواحي فيبني فيها قصرا فخما وهناك يسكن الى جوار اقرانه من شيوخ العشائر واغنياء المدن بين تغريد الطيور وعبق الازهار واذا اضطر الى المرور بزقاق ملزقه محلته القديمه وضع منديلا على انفه واخذ يتافئف من كسل الصعاليك وقدارتهم وقد نشات من جراء ذلك محلات طبقيه في كل مدينه لاسيما عاصمه الرشيد بغداد اذ يسكن الاغنياء في اماكن معينه لهم ويسكن الفقراء في اماكن اخرى وكلما ازداد العمران في العراق اشتد هذا الانفصال الاجتماعي بين الغني والفقير))(١٩٥٧ص ٣٧٥) ويضيف الورد الى ما تقدم فيقول (اننا قد لا نشعر ببطءات الاستقطاب الطبقي في الوقت الحاضر ولكننا سنشعر به بعد سنوات محدوده وذلك عندما يكبر الاطفال الذين ينشؤون الان في بيوت الدلاله ونحن اليوم نجد هذا عند ابناء الشيوخ وهؤلاء بداوا يفوقون اباءهم في الاسراف والظاهر ان المسنين من شيوخ العشائر لا يزالون يحتفظون لبعض تقاليدهم القبليه القديمه اما ابنائهم فقد اخذوا ينسوا الماضي ويتنعمون في حاضرهم المغني الى الاتقان وكثير ما نرى احدهم يقسو على فلاحيه من اجل حفنه من القمر حتى اذا تراكمت لديه الاموال ذهب بها الى المراقص فالقاها في احضان الفانيات المتفنجات)(١٩٥٧ص ٣٧٦) في الواقع ان هذه الفجوه الاولى قائمه على الدخل والعامل الاقتصادي بشكل متميز وان الفجوه الاولى اسهم بشكل غير مباشر في احداث هذه الفجوه وقد لا اتفق مع الاستاذ الوردي عندما ارجع شده انفصال الاغنياء عن الفقراء لزياده العمران في العراق بل نستطيع ان نرجعها الى تراكم الثروه والدخل لاغنياء المدينه واستمرار مجيء الشيوخ من الريف والاستيطان في المدن يجعل الانفصال الاجتماعي والاقتصادي والسكني بين المجموعتين ممكنا لقد اثار الوردي هنا حاله اجتماعيه تناقض مع الفرضيتين التي اعتمدها في دراسته وهي ((لقد ذكر ان ابناء الشيوخ في المدينه يفوقون ابائهم في الاسراف والبذخ وانهم اخذوا ينسوا وينغمسوا في حاضرهم المغري الى الاتقان)) هي ان الجيل الثاني من المهاجرين من الريف الى المدينه قد تحضر وتخلى عن قيمه القبليه وتشرب بقيم المدينه الحضريه فلم يقع صراع بين قيم البداوه والحضاره والانشطاب في شخصيته او ازدواجيه فيها.

ثالثا: الفجوه بين الحاكم والمحكوم ارجع الوردي هذه الفجوه الى:

١-تطور عقليه الناس

٢- تقدم التعليم المدرسي

٣- وسائل الاعلام والمطابع

اوضح الوردي ذلك من خلال مقارنته للمجتمع العراقي بين مدتين زمنيتين مختلفتين هما المده العثمانيه والمده الوطنيه حيث قال((كانت الحكومه العثمانيه تسمي ب(الرجل المريض) وكانت عقول الناس مريضه مثلها اذ كانوا يتحملون جور الحكام وهم مؤمنون بان ذلك مكتوب عليهم في لوح القدر وقد اعتقد كثير منهم بان الظلم الواقع عليهم انما هو من سوء اخلاقهم وقله عباداتهم وتقواهم كان الناس بعباره اخرى لا يفرقون بين المصيبه التي تاتيهم من الحوض كومه والتي تاتيه من الطبيعه فلم يكن هناك فرق مثلا بين التجنيد الاجباري والطاعون الذي يحصد ارواحهم حصدا وكلاهما في نظرهم من نوع واحد وهم لا يجدون ازاء سوى الصبر والدعاء الى الله ان يرفع المحنه عن هذه الامه لكن بعد مجيء الحكومه الوطنيه فان عقول الناس قد تغيرت اسرع مما تغيرت به طبيعه الحكام فاصبح المواطن لا يكتفي بانتقاد الحكومه على اعمالها الخاصه بل يرى كذلك ان لها يدفي الكوارث الطبيعيه ان المطابع والمدارس ومحطات الاذاعه اخذت تمطر العقول بافكار لم يكن لابائنا بها من عهد)) (١٩٥٧ص ٣٧٨) اما في عهد الحكم الملكي فقد قال الوردي((ان الحكومه تفرض التجنيد الاجباري على رعيتها ثم لا تسمح لهم بالانتخاب المباشر فهي تريد ان تدرب الفرد العراقي ان يكون جنديا رغم انفه ولا تريد ان تدربه على ان يكون مواطنا صالحا وعضوا فعالا في بناء اجهزه الدوله ومما لا شك فيه ان الانتخاب المباشر هو من اهم العوامل التي تساعد على تخليص الثغره بين الشعب والحكومه والواقع ان الضمير لم يتوحد في اي امه من امم هذا العصر الا بعد ان احس الشعب احساسا لا التباس فيه بانه ينتخب رجال حكومته بنفسه انتخابا فالشعب حين يعتاد رؤيه ممثليه ينطقون ويحاولون ارضائه ويدافعون عنه يشعر بانه عضو فعال في جهاز الدوله وانه يؤلف من الحكومه صفا واحدا لا ثغره فيه))(١٩٥٣ص ٣٦٧). ولا ريب ان ترى ما تبتدي به امه من الامم ان يكون لها ضميران ضمير حكامها وضمير لافراد شعبها فهذا الانشقاق في الضمير الاجتماعي يجعل الحكام يظلمون الشعب من حيث يظنون انهم يعدلون ويجعل الشعب يتمرد من حيث يظن انه طائعا والعراق ابتلى من هذه الناحيه بمصيبه اجتماعيه لا حد لها مع الاسف الشديد))(١٩٥٣ص ٣٦٣).

ياتي الان تناول حالات اجتماعيه مرضيه تشير الى المؤشرات السيئه التي تقوم بها بعض السنن الاجتماعيه على حركه التقدم الاجتماعي اقول معوقات التغير الاجتماعي تناولها الوردي في دراسته.

لا مناص من القول بانه لا يوجد مجتمع بدون حالات اجتماعيه مرضيه فلكل مرحله تاريخيه حالاتها المرضيه الخاصه بها انها ليست بحالات مستعصيه لكنها مسببه لاضطرابات اجتماعيه لا تظل الى درجه عدم توازن المجتمع في نظمه وقوانينه لكن علاجها لا يتم من خلال تركها على وضعها بل من خلال تشخيص مسبباتها وتطويقها بمضاداتها الاجتماعيه من اجل عدم توسعها او انتشارها في جسم المجتمع فمثلا استهلاك الظاهري في المجتمع يؤدي الى اضطراب في ميزانيه الاسره او دخلها فضلا عن انه مثل احد اوجه التبذير في

اقتصاديات المجتمع وان وظيفته الاجتماعيه اعطاء اهميه للزائر وتبيان مكانه العائله الاقتصاديه والاجتماعيه لكن هذه الوظيفه الاجتماعيه اقل اهميه في بناء المجتمع عند مقارنته مع استهلاك العقلاني الرشيد الذي يخدم مستقبل الاسره ورفاهيتها الاجتماعيه والاقتصاديه.

انتقد الوردي ظاهره الاستهلاك الظاهري لابناء المدن وسماها ب(عقده الطبيخ) حيث قال((ان اهل المدينه يعانون من عقده نفسيه بشان الطعام وهذه العقده قد تستفحل في بعض الفقراء الذين يحاولون ان يرفعوا من مكانتهم الاجتماعيه وان يقلدوا الاغنياء في ضخامه قدورهم وكثره البذخ على طعامهم وان من المفاخر التي يتباهى بها الكثير من اهل المدن هي ضخامه القدور التي يطبخ بها طعامها ووفره السمن الذي يوضع فيه والرجل عاده يخجل ان يشتري من السوق مقادير قليله من الموارد الغذائيه لبيته فاذا فعل ذلك اعتبره اهل السوق بخيلا واخذوا يتقولون عليه ويذمونه انهم يعذرون الفقر اذا فعله ولكنهم لا يعذرون الغني او الذي هو من الطبقه الوسطى فمن مقتضيات الوجاهه ان يطبخ الرجل في بيته اكثر مما تحتاجه اليه عائلته وهذه عاده قديمه نشات لدى الناس من جراء التوقعهم مجيء ضيف اليهم على حين غره والملاحظه في الازقه كثر ما يراق من بقايا الطبيب عند ابواب البيوت وربما تعمد بعضهم ذلك لكي يلفت الانظار الى وفره الطعام في بيته))(١٩٦٥ص ٢٧٣).

هذا ولابد لي بعد هذا الاستطراد ان اشير الى حاله اجتماعيه مرضيه اخرى وهي حاله الوساطه التي تربك النظام الاداري المبني على الانجاز والقدره العقليه والخبره الذي يمثل اخذ اوجه التقدم الاجتماعي لدى مجتمع مديني حضري اقول تسلط العلاقات القرابيه او الاقليميه المحليه على مواقع التسلم الاداري في تنظيم مؤسسات المجتمع الرسميه يمثل احد معوقات التقدم الاجتماعي يقول الورد بهذا الخصوص ((يقصد بالوساطه ان يلجا الانسان الى الوسط من اول النفوذ في سبيل تمشيه اموره في دوائر الدوله فالفرد حين يلجا الى الوسيط انما يجري حسب مقتضيات القيم المحليه القديمه فهو يناشد الوسيط بحق القرابه او الجيره او ما اشبه حاله اجتماعيه مرضيه اخرى هي المحسوبيه في التنظيمات الرسميه التي يمارسها المتعلمون وبعض المثقفين من اجل التقرب من اولي الامر قصد التكسب المادي السريع الذي بدوره يؤدي الى التحلل الخلقي وبناء مؤسسات رسميه غير قادره على تحقيق اي تطور ملموس داخل المجتمع بل خاوي في بنائها وفاشل في تحقيق خدمه المجتمع وهذه الحاله تعرقل مسيره المجتمع نحو الامام.

في هذا الصدد يقول الوردي ((نحن نلقن تلاميذنا معلومات(عاجيه) لا صله لها بحقائق الحياه ومشاكلها واننا نعلم تلاميذنا على الحماس في سبيل الحق والعدل والفضيله التلميذ يتخرج اذا وهو متحمس حماسا مهمه تكاد تنطبق على اي وجه))(١٩٦٥ص ٢٧٩).

هذا اجتماعيه مرضيه اخرى هي الحسد والوسواس اللذان يؤشران الجهل والافتقار الى الوعي الاجتماعي والنظره الضيقه للحياه وللناس وكلما زادت ثقافه الناس ومعرفتهم الفكريه والعلميه زاد وعيهم الاجتماعي والعكس صحيح لذا فهي حاله مرضيه تعيق تقدم المجتمع ذكر الوردي في هذا الخصوص ((ان الحضاره الشرقيه قد عودت ابنائها على عكس ما يقول به القران فقد احس كل واحد منهم يخاف من التحدث بالنعمه وانت لا تتحدث الى امراه عن ولدها فتقول ((انه سليم معافى)) او انه ذكي نشيط حتى تجدها قد استعادت بالله من قولك))(١٩٥٣ص ١٥١) والغريب ان حضارتنا حين تجعلنا نتخيل الفشل وتعودنا على ان نهمل النجاح الذي ياتينا عفويا من غير مشقه))(١٩٥٣ص ١٥٣) اما فيما يخص الوسواس او عقد الاستكمال فقط قال فيها ((انها اراده متحجره لان كل انسان يريد احيانا ان يستكمل العمل الذي يبدا به ولكن هذه الاراده قد تنجب فتسمى عقد نفسيه ان هذه العقده تعد من اكبر عوامل الفشل في الحياه فصاحبها لا يستطيع ان يقوم بعمل الا بصعوبه ذلك انه ينظر بعيدا النظر في كل جزء مما يعمل وتراه يهمل الاعتناء بالاصل في سبيل الاعتناء بالفرع او هو ينسى الغايه ويهتم بالوسيله)).

وهناك حالات يلفت الورد النظر اليها وهي ضروريه الاخذ بنظرها الاعتبار لظروف المجرم الاجتماعيه عند شريعه القانون الجنائي لانها حاله مدينيه حضاريه تدل على الدوافع الانسانيه الاصلاحيه وليست القمعيه الردعيه المطلقه وان اهم ذلك عند التشريع يعني الاخذ بالسياسه العقائبيه وليس الاصلاحيه يقول هنا ((ان القانون الذي يشرعه المشرعون يؤدي الى الظلم اذا طبق حرفيا وهذا قول لا يخلو من وجهه نظر صحيحه ذلك لان القانون ثابت مطلق بينما وقاع الحياه متغيره وفي بلادنا هناك مثل هؤلاء الناس الذين يلتزمون بتطبيق القانون حرفيا فهم يفكرون بمنطقه اصحاب العبيد فهم يسوسون الناس كما لو كان هؤلاء الات صماء لا عاطفه لها ولا شخصيه وكثير ما يحكمون على فقير بانه مجرم اذا اخطا مره بدافع من ظروفه القاسيه ثم يحتقرونه من بعد ذلك ويقيمون في سبيل العراقيل اينما توجه))(١٩٥٣ص ٩٣).

يتضح مما تقدم ان نقد الوردي لظواهر ومشاكل اجتماعيه عراقيه كان السائده في المجتمع العراقي في النصف الاول من هذا القرن كان منطلقا من الكشف عن حالات مرضيه وتشخيص عللها وهذه هي اولى مهام الاجتماعي فقط كانت معظمها تمثل موضوعات حساسه جدا لا يتجرا اي كاتب او ناقد ان يتناولها وينقدها الا اذا كان يحتل مكان فكريه وعلميه متميزه في المجتمع بسبب امتلاكه الافكار النيره وله القدره على الرؤيه من خارج المجتمع الى امراضهم ومشكلاته الاجتماعيه لان طرح ظواهر ملتصقه بحياه الناس اليوميه لمجتمع تقليدي تمتد جذوره الى ماض صحيح ولم تطرح عليه تغيرات اجتماعيه او اقتصاديه عديده وعميقه ويتم طردها بشكل جماهيري من خلال الصحف والمجلات اليوميه يحتاج الى جراءه قويه للتحمل تبعياتها السلبيه التي قد تصل الى النبذ الاجتماعي او الاتهامات خطيره.

الان وقد مضى على تشخيص الحالات الاجتماعيه المرضيه التي شخصها الوردي اكثر من ربع قرن فقد زال معظمها بسبب التغيرات النيابيه والاقتصاديه التي حصلت في العراق لكن الشيء الواضح فيه فقد الوردي ان تشخيصه للعلل الاجتماعيه كان يتسم بالنظره الشامله فعند تشخصه للعلاقه المرضيه من الشيخ والفلاح والغني والفقير والحاكم والمحكوم ياخذ شرائح اجتماعيه ممتده بشكل واسع في المجتمع العراقي ونظرته النقديه لبعض المعتقدات وطراق العيش والسنن الاجتماعيه كانت ثقافيه وغائره في اعماق تراث المجتمع العراقي فكان اسلوبه الفسيولوجي يتصل بالشمول اقول لم يتناول الموضوعات او المشاكل او الظواهر الاجتماعيه التي تحدث بين فردين او جماعه صغيره الحجم او مشكله اجتماعيه طائره على المجتمع العراقي بل الملتصقه بالحياه الاجتماعيه العامه لا خاصه بتاريخ وتراث الحدث لا بالحدث نفسه بالمصلحه الاجتماعيه وليس الذاتيه فجاءت منهج موضوعيا من دون تحيز فئوي او فردي لانه لم يجامل الحدث الاجتماعي او الموقع الاقتصادي او السياسي المتميز داخل المجتمع العراقي ولم يبالغ في تسجيل الظاهره او المشكله بل شخصها كما هي وابتعد كل البعد عن الغيبيات والمواعظ والخيال الفسيولوجي اللافت للنظر في اسلوب الوردي انه ابتعد ايضا عن استعمال المصطلحات الغريبه والغريبه او الفنانه الفارغه من استعمل مصطلحات محليه للدلاله على طرق عيش المجتمع العراقي وتحليلها في بيئتها المحليه مثل((عقده الطبيخ)) و((ابن اجاويد)) وما شابه.

لكنني كنت اتمنى لو ان الاستاذ الورده اختبر النظريات الاجتماعيه الغريبه التي استعملها في اطاره النظر فضلا عن دعمه لها لانه بدعمه هذا قام بعمل برهاني لتعوض نظريات غريبه بدلا من اختبارها في بيئه غير بيئتها لكي يتوصل الى قضايا او نماذج نظريه تعكس البيئه العراقيه او العربيه. ان سياق الدراسه يلزمني ان اشير الى موضوع لا يقل اهميه عن عنوان الدراسه وهو ان علم الاجتماع في المغرب العربي دخل عن طريق الاستعمار اي ان المجتمع المغربي درس من قبل باحثين اجتماعيين فرنسيين لاغراض سياسيه استعماريه وليس لخدمه المجتمع المغربي او لتشخيص مشاكل او علاجها((ان الفسيولوجيه في بدايتها في المغرب كانت مؤسسه اداريه وسياسيه في خدمه الحمايه الفرنسيه فالعلاقه بين السياسه(الاستعماريه) والفيسيولوجيه علاقه جدليه تحدد خطوط البحث الفسيولوجي))(الديالمي، عبد الصمد ١٩٨٥ص ٧٢) بينما عرف العراقيون علم الاجتماع والدراسات الاجتماعيه عن مجتمعهم باسلوب ومنهج علمي وبعقليه عراقيه لم تخدم سوى مجتمعها هدفها تسطيط الاضواء على الواقع الاجتماعي وخدمه المتعلمين والمثقفين ومحاربه الجهل والتخلف والجمود الاجتماعي وكان ذلك من خلال مؤلفات ودراسات ومقالات ومحاضرات الوردي انه جهد وطني وعلمي يستحق الافتخار به.

اما اسباب تسميته (الباحث الثنائي) فقد وجدناه يكرر في طروحاته الاجتماعيه العراقيه مفاهيم اجتماعيه ثنائيه مترادفه ذات مضامين متعاكسه مثل البدو والحضر والشيخ والفلاح والغني والفقير والحاكم والمحكوم ان هذا الاسلوب المقارن بين مفردتين مختلفتين في العنوان والمضمون كان وما يزال سائد استعمال عند الاجتماعين الغربيين امثال ريد فيلد (المجتمع التقليدي والمجتمع الحضري) وتوليس(المجتمع العام والمجتمع المحلي) وبيكر(المجتمع الديني والمجتمع الدنيوي) والي جنوي (المجتمع المشاعي والمجتمع الرفقي) وسبنسز (مجتمع الصناعي والمجتمع العسكري) ودوركهايم (التضامن الميكانيكي والتضامن العضوي) وكولي(الجماعه الاوليه والجماعه الثانويه) وغيرهم.

المرحله الثانيه / مجتمع عراقي

الشخصيه العراقيه في راي الطاهر

انما كتبه الدكتور الطاهر حول الشخصيه العراقيه من اراء تقييمات كانت عباره عن رده فعل متاخرا لكتابات علي الوردي حول الشخصيه العراقيه فقد وصفها الوردي بانها تخضع للمؤثرات الصراع البداوه والحضاره كما في سمائها الثقافيه مما جعلها في حاله تناشد اجتماعي يتمثل بتناقض قيم العرفيه العصبيه في مع المبادئ الحضاريه وهذا بدوره جعل الشخصيه العراقيه مزدوجه في سلوكها بشكل متناقض ومن ان تشعر او تقترف به.

اما الطاهر فقد وصفه الشخصيه العراقيه بانها ((متقوقعه وقلقه في ان معا ووضع ثلاث مظاهر لها وهي كالاتي:

١- ان انتماءات الافراد المتعدده الى الاسر او المحله او القبيله او الطبقه او الطائفه تؤدي بالفرد العراقي الى ولاءات مليئه بالاحقاد تؤثر الى مفضع البناء النفسي للشخصيه والبناء الاجتماعي للمجتمع.

ويبدو ان هذا حكم غير موضوعي لان كل فرد لابد ان تكون له انتماءات اخرى ومن اسره تنتمي الى منطقه معينه وتنتسب الى قبيله معينه فلكي يكون المواطن عراقيا يجب ان ينتمي لابوين عراقيين ويعيش في منطقه عراقيه كذلك

٢-ان لشخصيه الفرد العراقي مظهر تاريخي وحضاري وعبر عن نموذج المجتمع في مرحله تاريخيه وحضاريه معينه.

لشخصيه الفرد العراقي مستويات مختلفه من العلاقات ان تلك المظاهر الثلاثه تكون صوره متكامله مترابطه عن الشخصيه والمجتمع ولكن ما يهمني في الشخصيه العراقيه هي مظهرها (القوقعيه والقلق) بحسب قول الطاهر. فالنقطتين الثانيه والثالثه لا يظهرها القوقعه والقلق لانهما يوضحان تفاعل الشخصيه مع الحدث

التاريخي والحضاره وانها غير جامده لان مركز نقلها يختلف في اهتماماتها من مرحله لاخرى وايضا هي مستويات واطارات مختلفه في العلاقات والارتباطات فالشخصيه الطبيعيه تحقق استمراريه التفاعل مع المؤثرات التاريخيه

المرحله الثانيه/ المجتمع العراقي

اسباب القلق في الشخصيه العراقيه حسب راي الدكتور الطاهر:

١- صراع انتماءات العراقي المتعدده بين(الاسره والمحله والقبيله والطبقه الطائفيه). اذ يرى الطاهر ان العراقي يطمئن انتمائه لهذه الولاءات ويعتقد انه يتقوقع فيها بينما تكون علاقاته سطحيه خارجها وفي الحقيقه لا يوجد اي صراع في هذا لان هذا حال كل المجتمعات ففي كل مجتمع الافراد ينتمون الى اسر وقبائل وطوائف وتكون علاقاتهم داخل هذه الانتماءات اكثر من علاقاتهم مع بقيه افراد المجتمع وبالتالي هذا يؤدي الى الاستواء وتنميه الروح الجماعيه وليس الصراع.

٢- نقل الولاءات القوقعيه القديمه الى الحركات السياسيه والاجتماعيه والثقافيه يعتقد الطاهر ان تاريخ الحركات السياسيه والاجتماعيه في العراق اكثر في حين هذه لكن هل ان من ينتمي الى حركه سياسيه او اجتماعيه بدافع اسريه او قبليه او طائفيه يكون قلقا. يفترض يكون اكثر استقرارا من غيره لانه ينتمي الى النفس المجموعه التي عرفهاويشترك معها بالكثير من القيم وهل توجد حركات سياسيه او اجتماعيه مستقره على اسره او قبائل او طوائف محدده هذا كلام بحاجه الى برهان.

٣- عدم ثبات سلم الولاءات في وجدان الشخصيه العراقيه: يعتقد الطاهر ان الفرد العراقي ماذا يقدم الاسره على من سواها ومره يقدم القبيله ومره اخرى يقدم الطائفه المحله وهكذا وهذا هو مصدر القلق عنده وفي الحقيقه هذا لا يؤدي الى القلق وانما وانما هو يدل على الحركه المستمره والتفاعل المستمر للفرد العراقي مع كافه شرائح المجتمع فهو غير قلق غير متقوقع في انتماء اجتماعي واحد بل متفاعل مع الكل.

٤-الانعزال الاجتماعي :يعتقد الطاهر ان هذه الانتماءات المتعدده تعزل ابناء المجتمع افقيا وعموديا لانها بذره منها بذور التحيز والتعصب وقسمتهم الى اجزاء متناقضه ويحدث ان ينتقل الافراد من مستوى الى اخر مما يجعل من الصعب معرفه نقاط الانتماء ونقاط الاختلاف مما اوجد في الشخصيه العراقيه مستويات مختلفه من الندم والقلق اثرت في اتخاذ المواقف.

السؤال هنا هو: هل يعقل ان من يتعصب لانتمائه الاجتماعي ان بذلك هذا الانتماء الى انتماء اخر يتناقض مع انتمائه الاول ان مثل هذه ا التشخيصات السببيه غير وارده في الدراسات الاجتماعيه الكلاسيكيه والمصاهره لعدم دقتها وتناقضها وبعدها عن الواقع .

المرحله الثانيه/ المجتمع العراقي

في عام ١٩٧١ تراجع الطاهر عن ارائه حول اسباب قلق الشخصيه العراقيه بسبب اكتشافهم لاسباب جديده او ان دراسته تحتاج الى تعديل بل لرد نقل سلبيه اتجاه الوردي في موضوع الشخصيه العراقيه ولكن كانت هناك تناقضات ورقيه وتحليليه حيث قال:

ان قلق الشخصيه العراقيه هو سبب تناقضات قائمه بين الادوار الكثيرة التي يقوم بها في البيت والمدرسة والمزرعه المقهى والنادي والمصنع....الخ. مما يصعب التوفيق بين كل هذه الأدوار لان كل دور يرمز الى مستوى معين عند الشخصيه العراقيه ولكن هذا القلق ليس مرضا بل هو ينبوع لتحفيز العراقي الى الحركه والابداع فهي شخصيه محلله تحلل الاشياء والموضوعات وتعيد تركيبها من جديد وان كانت معده بين البداوه والحضاره ومتمسكه بهما لما استطاعت تبدا في اللغه والنحو والفقه والقانون التناقضات في الشخصيه العراقيه كثيره منها التناقضات بين الطبقات الاجتماعيه وبين الاستعمار والقوميه بين قطاع الاشتراكيه بين الريف والمدينه الجيل القديم والجيل الحديث بين الرجل والمراه وبين اللون الابيض والاسود فهل يمكن ان تختزل كل هذه التناقضات في البداوه والحضاره فهو منهج مثالي قديم يعود الى العصور الوسطى ومنهج انهزامي. هل من الممكن ان توجد كل هذه التناقضات في الشخصيه العراقيه مستحيل ان كان هناك مراعاه بين الرجل والمراه في العراق فاسرنا ابويه في نفسها وسلطتها ثم تحرر المراه من بعض القيود الاجتماعيه وحصولها على بعض الحقوق القانونيه مثل حصول في صراع في الشخصيه العراقيه بين اللون الابيض والشعوب الملونه لم يحصل هذا الصراع على مر التاريخ ومتى اصبح الصراع بين الديانات في المجتمع العراقي ظاهره منتشره يحصل هذا في تاريخ المجتمع العراقي وهذه كلها اراء غير واقعيه ولا يمكن اعتمادها. وقد ذكر طاهر بعض الاعراض العامه في الشخصيه العراقيه نجحت عن القلق والنزاع الداخلي بحسب رايه وكما يلي:

١- الثورات والانقلابات والحروب الداخليه

٢- المظاهرات والاعتصامات والمسيرات

٣- اعلان الاحكام العرفيه وحل البرلمانات

٤- الاعتقالات والنفي والفصل والعزل

٥- اغلاق المدارس والمعاهد والجامعات

٦- سقوط الوزارات وعزل الولاه وسقوط الحكام

٧- التخلف

وفي استخلاص الطاهر هذا يغطي وجود الوعي السياسي الذي هو السبب الرئيسي لمثل هذه الاعراض ويرجعه الى القوقعه والقلق في الشخصيه العراقيه وهذا الاستخلاص لا يمكن الاخذ به لانه تقيم خالي من الحقائق ومن الدلائل الواقعيه.

ان منهج الطاهر الثنائي الازدواج الذي استند اليه استخدمه للانتقاص من دراسه الورد اذ قال((جعل الوردي مفهوم الازدواجيه بين البداوه والحضاره مثاليا وميثا فيزيقيا قادرا على تفسير كل ظواهر وقوى المجتمع العراقي فجعل الازدواجيه قانون قادر على انتاج الشخصيه المجتمع الحضاره ثم اعتبرها حذرا على كل عراقي اكثر من الاقطار العربيه)) وقال ايضا ((نجد الازدواجيه اليوم منهجا جامدا وعقيما غير صالح للاستيعاب الواقع الاجتماعي ومعرفه ما تتفاعل في مستوياته المختلفه من قوى وتيارات لقد جعل الزميل الوردي من الازدواجيه وصفه طبيه جاهزه مثلها مثل الاسيرو- الذي يعطي المريض السرطان. فهو مهدئ لفتره قصيره ثم ثم نعود الى الالم مره اخرى وجعل الازدواجيه غطاء ممزق لا يحجب الواقع الاجتماعي الماليه بالتناقضات والصراع.

الفصل الثاني

الدكتور عبد الجليل الطاهر (١٩١٧- ١٩٧١)

الباحث النقلي

الرد الثاني في علم الاجتماع في العراق والدكتور عبد الجليل الطاهر احد ابناء مدينه القرنه البصره السبب بشكل فعال في تدريس علم الاجتماع في كليه الاداب (جامعه بغداد) بعد منتصف هذا القرن وقدم العديد من الدراسات والمؤلفات والتراجم التي اسمت في اثراء الفكر الاجتماعي والمعرفه الاجتماعيه وعكس المرحله الاولى من مراحل تطور هذا العلم في العراق.

كانت بدايه عطاءاته العلميه تتمثل في دراسه الوحدات الاجتماعيه الكبيره كدراسه المجتمع البدوي والريفي والمدني، كراسه الشخصيه العراقيه ومشروع المعيشي ففي مجال دراسته عن المجتمع العراقي فقد استطعنا ان نبوبها ونصنفها كما ياتي:

١- المجتمع البدوي في العراق

٢- طرق تنميه الريف العراقي

٣- المجتمع المديني في العراق

٤- الشخصيه العراقيه

١- المجتمع البدوي:

اوضح الطاهر المجتمع البدوي في العراق من خلال وصفه للنظام العشائري الذي كان السائد فيه حيث كان وما يزال قائما على الروابط الدمويه التي تكون النسيج العراقي القرابي بين افراد القبيله الواحده الذي بدوره حدد الحقوق والواجبات الاجتماعيه الملقاه على مفردات النظام العشائري كافه من اجل تنظيم حياتهم الاجتماعيه اليوميه ضمن ضابط عشائري يدعى (العصبيه) الذي يكون بمثابه اليه اجتماعيه تساعد البدو على تكييف للبيئه البدويه بما فيها الالزام والامناع حيث تلزمه بقوه ان يلتزم بضمير القبيله واخلاقياتها وفي الوقت ذاته تمنعه من ممارسه المحرمات التي تضع المحظور عليه (كتزاوج من قبائل معينه او تعزله اجتماعيا او جغرافيا عن بعض الفئات الاجتماعيه في قبائل معينه) هذه الاليه البدويه(العصبيه) تحدد هويه او طابع القبائل البدويه المتضمنه وحده الدم ووحده الاصل- النسب- ووحده العلائق الاجتماعيه ونظام الاسره الابويه(اي النسبه الابويه والسيطره الابويه)

لكن هذا النظام العشائري لم يبقى محافظا على سيادته في المجتمع البدوي بسبب السيطره الاجنبيه التي تسلطت على المجتمع العراقي فعندما احتل المغول العراق في اواسط القرن الثالث عشر الميلادي اصاب المجتمع العراقي الحروب والكوارث الداميه وفقدان الامن والاستقرار ودمرت الجداول والتواضم وهدمت الديار تحت هذا الاعتلال الاجتماعي اصبح النظام العشائري المنسق الوطني الوحيد للمناشط الساميه والامنيه والاقتصاديه والاجتماعيه للمجتمع العراقي يحمي مصالحه واملاكه وعرضه الامر الذي زاد من رباط الفرد العراقي بعشيرته ونظامها وبسط ولا واخلاصه لها لانها اصبحت القلعه الوطنيه التي يحتمي بها من ظلم وجور الاجنبي وعندما حكم العثمانيون العراق ابانا المده الواقعه بين ١٥٣٤- ١٧٤٩م انتبهوا الى سلطان النظام العشائري في المجتمع العراقي وقوه اليته التنظيميه (العصبيه القبليه) في تضامن افراد العشيره زرعوا الخصومات بين العشائر من اجل تفرقتها وتسليم قواها وسلطانها وقد نجح العثمانيون بهذا العمل التجزئي الذي ادى الى تقديم الركائن الاجتماعيه فظهرت كل عشيره وكانها اماره متنقله تمتع بنفوز سياسي وجغرافي واجتماعي خاص بها مثل اماره االمنتفك والخزاعل وزبيد والطي وشمر (الطاهر، ١٩٧٣ص ٣٦- ٣٩) اي في هذه الحقبه التاريخيه لم يبقى النظام العشائري نسقا موحدا للعشائر كافه امام التسلط الاجنبي بل اصبح نسقا مجزئا بسبب تدخل الاجنبي في شؤون نهو فقسمه الى انساء فرعيه يستقل الواحد عن الاخر من اجل تسهيل السيطره عليه لكن النظام العشاري لم ينسى وجود النفوذ الاجنبي رغم تتليمه الى انساق فرعيه بل زادت ثوراته بشكل حاد ابانا حكم المماليك في المده الواقعه بين ١٧٤٩- ١٨٣١م مما دفع المماليك الى الانشغال باخماد الثورات التي قام بها افخاذ العشائر المنتفك والخزاعل في الفرات الاوسط (الطاهر، ١٩٧٣ص ٤٢) يتضح من ذلك ان اليه البدويه(العصبيه القبليه) منغرس في ضمير الفرد البدوي بشكل متجذر ومرتبط بالنسق القبلي على الرغم من تسليمه من النظام العشائري تظهر فعاليتها وديناميتها في التضامن الداخلي عندما تواجه تسلط اجنبي يحاول السيطره عليها واستغلالها لصالحه.

هذه الحقيقه الاجتماعيه استغلتها السياسه الاستعماريه البريطانيه بشكل يختلف عما استغلها حكام المماليك حيث لم تعمل (السياسه البريطانيه) الى اخماد الثورات العشريه ولم تزرع الخلافات بين العشائر بل عمدت نهجا جديدا وهو تعزيز وتقويه نظام (المشيخه) بعد ان دخلت بغداد عام ١٩١٨ ومنحت الشيوخ نفوذا وسلطانا قويا من اجل السيطره على افراد القبائل والعشائر بواسطه تقريبهم ومنحهم الاراضي والمكان والمال والنفوذ - الحدود وبدات تسهيل على السياسه البريطانيه السيطره على المجتمع البدوي في العراق والمحافظه على المصالح البريطانيه وحمايه مؤخره الجيش البريطاني.

وبهذه الطريقه استمر الانجليز الشيوخ لجانبهم مستخدمين السياسه الاغراء والتلويح بالاراضي والمكان والتهديد بانتزاع الاراضي من المعارضين فظهر الشيوخ على المسرح السياسي حاملين معهم انساقهم الفرعيه

المتنازعه ولائهم المصلحي للنظام الملكي اما الانساق الفرعيه المعارضه للتسلط الاجنبي فقط انتزعت منها الاراضي وحرمت منها املاكها والتمثيل في المجالس العشائريه .

وحصله القول ان نظام العشائري تحول بسبب السيطره الاجنبيه الى انساق فرعيه متخاصمه ومتنازعه بعدما كان متكافلا متضامنه ثم تحول كل نسق الى مواقع سلطويه مستغله الاليه البدويه ((العصبيه القبليه)) اداه للسيطره على النسق الفرعي القبلي والاثراء على حساب قوى افراده وبالوقت ذاته تسخير هذه المواقع السلطويه القبليه من قبل الحكام الملكيه من اجل السيطره على افراد قبائلهم هذا من جانب ومن جانب اخر فقط حدد الطاهر حدود المجتمع البدوي في المناطق الاتيه:

عشيره الظفير: تقطن الجنوب الغربي من العراق

عشيره عنزه: تقطن سهوب الشاميه

عشيره شمر: تقطن اراضي الجزيره العليا

اما المستوى الحضاري لهذه العشائر فيخضع لدرجه توطنها وتطور الزراعه فيها واستخدامها لوسائل الري وزراعه المحاصيل مثل التبغ والقمع والخضراوات واشجار الفاكهه والنخيل والارز (الطاهر، ١٩٧٢ص ٣٧).

٢-طرق تنميه الريف العراقي

الصفه المميزه للمجتمع الريفي عند البدو هي ان الاول مستقر على ارض زراعيه يفلحها ويعيش منها ولا يتنقل وراء المال والكلأ كما يفعل يجب ان لا يتمسك باتجاه معين وثابت في المرحله الاولى فعلينا ان نجرب النوعين المتطرفين ((الاستثمار الصغير والاستثمار الواسع ونضيف اليهما الاستثمار المتوسط)) لنرى مدى تطابقها جميعا مع الواقع ومدى نجاح كل منها ثم تفتح الاسس الممكنه))(الطاهر، ١٩٦٩ص٣) قدم الظاهر هذا المقترح لان تطبيق قانون الاصلاح الزراعي كان غير سليم متضمنا العديد من الثغرات والفجوات الامر الذي ساعد على هبوط قدره الارض الانتاجيه وهجره عدد كبير من الفلاحين قراهم الزراعيه الى المدن علهم يكسبون ما يسدون به رمقهم وهبطت حصه الزراعه من الدخل القومي وعاده الماسي والالام الى الاراضي.

لكن بعد عام ١٩٦٨ حصلت تغيرات في الريف العراقي من خلال استفاده من الثغرات والفجوات التي احتواها قانون الاصلاح الزراعي فازيل نظام العلاقه الانتاجيه الزراعيه (الاقطاعيه- العشائريه) التي كانت سائده قبل ثوره تموز ١٩٦٨ ومنع استغلال الملاكين واتباعهم من استغلال الفلاحين واستثمار قوتهم وحصلت ثوره زراعيه شقت طريقها الى الريف العراقي وتحمل الفلاحون مسؤوليه القيام بالثوره الزراعيه بوصفهم القوه

القادره على تنفيذ تغيير المجتمع الريفي اي ان الثغره الاجتماعيه الذي حصل في البنيةالريفيه كان من خلال رفض المجتمع الريفي بالبدو من اجل استيطانهم والعيش في نمط اجتماعي مستقر وهذه نقله اجتماعيه متميزه ثم تطبيق نظام الاصلاح الزراعي بشكل يقدم النفع المادي للفلاح وازاله العلاقه بالاقطاعيه- العشائريه المستقله ورفع طاقه الارض الانتاجيه وايقاف هجره الفلاحين من قراهم ابقائهم فيها ولكن هذا لم يحصل بشكل تلقائي بل بفضل الاصلاحات الزراعيه بشكل يخدم الفلاح العراقي والمجتمع الريفي.

وخليق بنا ان نشير الى حياه المجتمع الريفي التي بقيت محافظه على سطحها الذي يسيطر عليه ضمير الجماعه والالتزام بالتقاليد الريفيه والعلائق البدويه لكن اذا اراد ان يتوطن فانه يستقر في المناطق الريفيه الصانعه للزراعه وقد قدم الطاهر بعض المقترحات التي تجذب البدوي لكي يتوطن في المناطق الريفيه وتعزز بقائه فيها هي العمل الموسمي الذي يعري بعض افراد العشائر في اثناء فصل محدد من فصول السنهالامر الذي يدعه ان يهجر حياته البدويه المتنقله ومترحله ويدخل حياه الاستيطان الموسمي كمرحله اوليه للعيش في مجتمع ريفي (في القريه) وخلال هذه المده الموسميه يستطيع البدوي ان يتعلم بعض الصناعات الريفيه مثل الصناعات الغذائيه طحن الحبوب وصناعه الدبس والعسل وتقطير الروائح العطريه ماء الورد وبعض الصناعات اليدويه مثل صناعه السلال والصناديق والاقفاص واسره النوم والكراسي والسلال.

ولكي يتم تشجيع المجتمع البدوي على الاستيطان في القريه تقدم القروض الماليه له للاغراض الانتاجيه وحمايته من تدخل تجاره الذين يقبضون المزارعين مقابل رهن محصولاتهم وهي خضراء بنصف اثمانها فضلا عن تنظيم تسويق محاصيلهم ونقلها وتاجير المكان والالات الزراعيه لهم والاهتمام بارشادهم لتحسين احوالهم الصحيه ورفع مستواهم(بوفيه، ١٩٦٥ص ١٣١) هذه الاهتمامات تعمل على تغيير المجتمع البدوي وجذبه الى المناطق الريفيه المستقره وفي الوقت ذاته تساعد على انماء المجتمع الريفي وتطوير حياته الزراعيه والصحيه معا وبهذه الطريقه تستقطب المناطق القرويه معظم البدو ويستوطنون فيها ويتحقق تغير جزء لا باس به من المجتمع العراقي لانه يتم تحويل نمط الحياه البدويه المتنقله الى نمط حياه مستقره تعيش في الريف.

هذا من جانب ومن جانب اخر كان للطاهر ملاحظه على الحياه الريفيه بعد عام ١٩٥٨ الذي تم تطبيق قانون الاصلاح الزراعي لكنه لم ياخذ طريق للنجاح فطبع المقترح الاتي ((ان الاصلاح الزراعي في العراق القرابيه بالارتباط المتين والصراحه المباشره وليس العلاقه الموقعيه المنتصفه بالتفاعل المرحله عبر قنوات غير مباشره متضمنا المجامله والمصلحه الذاتيه حيث يرتبط الناس في المجتمع الريفي بالروابط العائليه والباقيه فيسود بينهم تجانس وانسجام بحيث يكون الفرد فيه جزء لا يتجزا من المجموعه ان مصدر العلاقه الاجتماعيه في الريف هو التجاذب الروحي والتضامن بسبب وجود المشاعر المشتركه والتزامات الخلقيه والروحيه والاخلاص والولاء المتبادل.

فضلا عن ذلك فان الناس في امريكا يستنكفون من القيام بامور تخالف ضمير الجماعه وان شباب الريف يعدون الفتيات الريف ريباتهم واخواتهم يذبون عنهم ولا يرضون ان يمسهن اي احد بمكروه ولهذا يوصل والد الساكن في الريف ابنه الذي يريد الالتحاق الكليه ان يكون حذرا من حياه بغداد لان فيها بعض المؤسسات التي تعمل على هدم القيم التي يعتز بها كدور القمار ودور البغاء الثري ولعلني وفيها بعض سواق السيارات الذين يرتكبون مختلف الجرائم المخله بالشرف وفيها محلات اخرى تعد لطخ في جبين المدينه اخيرا فان الزواج في بقي من النوع الداخلي وان الاسر الريفيه تقوم بوظائف التربويه والاجتماعيه والاقتصاديه والاخلاقيه من دون مساعده مؤسسات اجتماعيه رسميه او غير رسميه (الطاهر، ١٩٥٤ص.هـ)

٣- المجتمع المديني:

وصف الطائر المجتمع البغدادي في العقد السادسه من هذا القرن من خلال علاقات افرادهم مبنيه على المصالح الشخصيه والاوراق الماليه والكمبيالات وليس من خلال التجاذب الروحي والتضامن بسبب وجود مشاعر مشتركه والتزامات خلقيه وروحيه واخلاص وهو لا متبادل لضعفها في مجتمع المدينه لذلك طغت العلاقه المهنيه المصلحه هي كالعلاقه بين الطبيب والمحاميوالساق والشرطي والاستاذ والتاجر وغيرهم اي انهم يتبادلون الخدمات مقابل نفع مادي يتقاضاه الواحد من الاخر.

فضلا عن ذلك ففي المدينه تسود المجاملات والشكليات وتحتل الاخبار بانواعها السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والرياضيه جزء غير قليل من اوقاتهم في احاديثهم ويشتد التنافس والنزاع بين الفئات الاجتماعيه المختلفه لاسباب متعدده سياسيه ومصلحيه ومهنيه وغيرها.(الطاهر، ١٩٥٤ص ٣٥).

هذا على صعيد العلاقات اما على صعيد الاسره المدنيه فقط طلع عليها تغير كبير من حيث تكوينها وبنائها وظائفها وعلى مستوى تكوينها فقط ظهر نمط اختيار شريك الحياه المبني على الاختيار الفردي سواء كان هذا الاختيار منطلقا من النظره الاولى او الرغبه بين الشريكين هذا النمط من اختيار شريك الحياه غير وارد في المجتمع مع الريفي او البدوي واذا ورد فانه يعد من الشواذ بسبب سياده نمط اختيار شريك الحياه القام على اختيار الاهل او نمط الاقارب وهذه نقله نوعيه في تكوين الاسره المدينيه في المجتمع العراقي انذاك لانه يترتب عليها النقل النوعيه اثاث التطبيعيه تختلف نوعا ما عن التطبيع الاجتماعي الاسري التقليدي في الريف او الباديه ومرد هذه النقل النوعيه الجديدة يعود الى التحصيل الدراسي واختلاط الجنسين في مؤسسات تربويه (مدرسه ومعهد او كليه) او مكان عمل رسمي الذي ساعد على التقاء الجنسين بعيدا عن رقابه الاهل والاقارب وبعيدا عن المؤثرات التقليديه الموروثه.

اما بنيه الاسره المدينيه في ضوء النقل النوعيه الجديده فانها اصبحت من النوع الصغير (اي ان حجم الاسره المدينيه صغر) تضم جيلا واحدا وليس كما هو سائد في الاسره الريفيه او البدويه التي تضم ثلاثه اجيال في بيت واحد وفي ان واحد (وهم الجد والجده والابوان والابناء والاحفاد) اي اسره ممتده بالكامل ويكون مصدر عيشهم دخلهم الشهري المحدود هذه النقله البنائيه الجديده عملت على تصغير حجم الاسره اي ضغط عمليه الانجاب وتقليل عدد الابناء بسبب اشتغال الزوج خارج الدار واستعمال الوسائل الحديثه في تحديد النسل.
وهناك ملاحظات اخرى سجلها الطاهر على الاسره المدينيه في بغداد وهي خروجها من اسرتها الممتده والسكن في بيت مستقل وليس مع اسره الزوج او الزوجه مما حقق لها نوع من الاستقلال الاسري من الناحيه الاداريه (اي اداره الاسره) والتربويه والعلائقية.
مرض هذه الظاهره يرجع الى ارتفاع مستوى الدخل الفردي في المدينه الامر الذي جعل المديني يحصل على دخل شهري ثابت من تحصيله الدراسي الذي اكتسبه ومنحه عملا رسميا في احد المؤسسات الحكوميه وشبه الحكوميه وكذلك يرجع الى اشتغال المراه خارج الدار وحصولها على دخل شهري ثابت ايضا مما متجها جزء من الاستقلال المالي الذي حرر قرارها نسبيا فيما يخص شخصيتها ومستقبلها.
اما فيما يخص وظائف الاسره المدينيه فقد لاحظ الطاهر ان بعض وظائف الاسره الممتده في الريف او في الباديه قد تخلت عنها الاسره المدينيه منها الوظيفه التعليميه حيث اخذتها المدرسه والوظيفه الاقتصاديه اخذتها بعض المحلات التجاريه مثل المخابز ومحلات بيع المخللات والمربيات ومحلات الخياطه وصالونات التجميل وقد اخذت الشرطه والاصلاحيه والسجن المهام الامنيه والدفاعيه التي كانت تمارسها الاسره الممتده في الريف والباديه فاصبحت اسره ذات وظائف محدوده اقل بكثير من وظائف ومهام الاسره الريفيه (الطاهر، ١٩٥٤ص١) من ذلك يعود الى تطور الحضري التي اكتسبتها المدينه بغداد من عمران وتطور حضاري وسعه كبيره في مجتمعها وازدهار التجاره وطغيانها على الزراعه واستخدام الصناعات الحديثه في العمل الحرفي والتقني والاهتمام بالتعليم والثقافه كل ذلك ساعد على تخلي الاسره المدينيه لقسم من وظائفها داخل المدينه.

خليق بنا ان يتبين ان كتابات ودراسات الاستاذ طاهر حول المجتمع العراقي باقسامهم الثلاث (البدوي والريفي والمديني) لم تاخذ مده زمنيه واحده اقول انه لم يدرس خلال حقبه زمنيه واحده ويقارن بينها لكي يبين تبياناتها ونشاءاتها ومفارقاتها والتقاءاتها فقد وجدنا دراساته للمجتمع البدوي توغلت في عمق تاريخ العراق ودراسته للمجتمع الريفي كانت بعد العقد الخامس من هذا القرن واهمل العمق التاريخي له واوضح المجتمع المديني بعد العقد السادس ولم يشمل قبل ذلك وهذا جعل دراسته متضمنه فجواد زمنيه كبيره متفاوته ولا يوجد فيها ترابط زمني او تدرج تطوري لاقسام المجتمع العراقي الثلاثه (البدوي والريفي والمديني).

٤-الشخصيه العراقيه في الراي الطاهر:

لم تكن للدكتور الطاهر دراسه مستقله عن الشخصيه العراقيه بل ان كل ما كتبه من اراء وتقييمات كانت عباره عن رده فعل متاخرا لكتابات الاجتماعيه المعروف الدكتور علي الوردي في هذه الخصوص حيث ظهر الرد فعله عام ١٩٦٩ و ١٩٧١ بينما ظهرت كتابات الوارده حول الشخصيه العراقيه في منتصف الخمسينات وهذا يعني ان هذا الموضوع لم يكن من اهتماماته الفكريه او البحثيه الاساسيه ولانه لم يمتلك المعلومات الكافيه مثل هذا الموضوع الحيوي لذلك اوقع نفسه بالمطب نفسه الذي حاول ان يستخدمه لنقد الوردي فلم يقدم للباحث الاجتماعي العراقي او العربي اساسا يضيفه في بناء هذه الدراسه وجد من المفيد للماح لكتابات الوردي في هذا المقام لكي يعرف القارئ ما جاءت به ((الوردي ان الشخصيه العراقيه تخضع لمؤثرات صراع البداوه والحضاره معا في سماتها الثقافيه الامر الذي خلق فيها تناشز اجتماعي متمثلا بتناقض القيم العرفيه العصبيه (قيم خاصه بالقرابه والجيره والنخوه وحق الزاد والملح) مع المبادئ الحضاريه (مثل مبادئ المساواه والعداله والديمقراطيه والحريه والوطنيه) الذي بدوره جعل الشخصيه العراقيه مزدوجه في سلوكها بشكل متناقض دون ان تشعر او تعترف به بحيث تتاثر بنظامين متناقضين من القيم والمبادئ فهي تتاثر باحد النظامين تاره وبالاخر تاره اخرى)) (الوردي ١٩٦٩ ص ٢٩٩).

نبدي استغرابا من هذا الحكم اللام موضوعي لان من اساسيات انتماء الفرد للمجتمع ان يكون منتميا لاسره انجبته بيولوجيا وتعيش في منطقه معلومه الابعاد - جغرافيا ، وتنتمي الى مجموعه اسر تمثل العشيره او القبيله وغيرها من الانتماءات الجزئيه القطعيه التي تربط بالمجتمع الكبير والفرد العراقي لكي يحصل على مواطنته العراقيه يجب ان يكون من اب وام عراقيين بالولاده ويعيشون على ارض عراقيه ومن الطبيعي ان يكون لهذه الاسره ارتباطاتها وانتماءاتها العشائريه والطبقيه والدينيه وهذه احدى اساسيات الطبيعه البشريه وتماثله معها وتعلقه بها امر طبيعي جدا ولا يمثل انتماء قوقعي متحجب بالارتباط طبيعي بالاسره والمجتمع المحلي والعام وهذا هو احد اسباب خلو المجتمع العراقي من البؤر الولائيه المنيه بالمياه الالسنه من الاحقاد لو افترضنا جدلا بان فعلا ان الوجدان العراقي مجرور جرا لمثل هذه البؤر فهل يعقل ان يبقى هذا الوجدان قائما لحد الان دون انهيارات بنائه؟

٢- ان الشخصيه الفرد العراقي مظهرا تاريخيا وحضاريا يرمز ويعبر عن نموذج المجتمع في مرحله تاريخيه وحضاريه معينه اي ان مركز الثقل في الشخصيه تختلف في اهتماماتها من مرحله الى اخرى.

٣- ان لشخصيه الفرد العراقي مستويات واطارات مختلفه من العلاقات (الطاهر ١٩٦٩ ص ٣٦).

من هذه المظاهر الثلاثه تتالف لدينا صوره مترابطه الاجزاء عن الشخصيه والمجتمع ولعل اول ما يسترعي اهتمامنا في الشخصيه العراقيه مظهران اساسيان هما :١- القوقعيه و٢- القلق. ان المظهر الثاني والثالث لا يؤديان الى القوقعه او القلق لانه ما يوضحان تفاعل الشخصيه بشكل مستمر مع الحدث التاريخي والحضاره وانها ليست بجامده او متقوقعه لان مركز ثقلها يختلف في اهتماماتها من مرحله تاريخيه وحضاريه الى اخرى- كما ذكر في المظهر الثاني- وفي الوقت ذاته لها مستويات واطارات مختلفه في العلاقات والارتباطات- المظهر الثالث- فالشخصيه المعنويه والطبيعيه هي التي تحقق استمراريه التفاعل مع المؤثرات التاريخيه والحضاريه المحيطه بها والافراد الذين تعيش في وسطهم فكيف اذا يكون هذان المظهران قلق وتقوقع في الشخصيه؟ فضلا عن ذلك فان المظهر الاول للشخصيه العراقيه يتعارض كليا في منطقه وفكر مع منطق وفكر المظهرين اللاحقين فالتناقض يكمل في تحديد الباحث لمظاهر الشخصيه وليس في الشخصيه العراقيه.

اما اسباب القلق في الشخصيه العراقيه فيرجعها الطاهر الى الاسباب:

١- صراع انتماءات العراقي المتعدد كالاسره والمحليه والقبليه والطبقية والطائفية حيث يشعر الفرد في العراق الذي ينتمي الى هذه الولاءات القوقعيه- والطمانينه وبالولاء العميق داخل اطار تلك القوقعيه بينما يتبادل العلاقات السطحية المؤقته الطارئه خارج ذلك الإطار. (الطاهر ١٩٦٩ ص ٣٧). لم نجد اي توضيح لوجه واحد من اوجه الصراع في هذه ذا السبب انتماءات العراقي المتعدده دلاله على الحيويه والنشاط الاجتماعي الضمني (اي ضمن افراد اسرته ومحلته وقبيلته وطائفته) وعلاقته البيئيه (اي بين افراد المجتمع العام التي تتسم بالسطحية والمؤقتة) وهذا شيء طبيعي في كل المجتمعات الانسانيه. ان هذا السبب لا يؤدي الى الصراع ولا يؤدي الى القلق- ابدا- بل الى الاستواء وتنميه الروح الاجتماعيه الحميمه التي تؤدي الى التضامن الاجتماعي وليس الى الصراع الاجتماعي.

٢- نقل الولاءات القوقعيه القديمه الى الحركات السياسيه والاجتماعيه والثقاء هي لقد اظهرت تاريخ الحركات السياسيه والاجتماعيه والثقافيه صحه هذه الفرضيه لان العراقيين يتوزعون في انتماءاتهم توزيعا يتاثر بالرواسب القوقعيه العالقه في وجداناتهم بل انها نقل الولاءات القوقعيه القديمه الى الحركات وتوزعوا بينها بمقدار ما تتصل تلك الحركه ببناء القواقع الولائيه القديمه (الطاهر ١٩٦٩ص ٣٨) السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل يصح للمنتمي الى حركه سياسيه بدافع الانتماء الاسري او المحلي او القبلي او الطبقي ان يكون قلقا لا سيما ان الانتماء الاسري والسياسي يولد الاستواء الشخصي والوعي السياسي والنضج الاجتماعي ان هذا السبب يفتقر الى دليل منطقي وواقع لان الحركه السياسيه في كل العالم لها اهداف وغايات تعبر عن المصلحه العامه ولكل فرد اهداف وغايات تعبر عن مصلحته وقسم منها تتقارب مع اهداف حركه معينه والقسم الاخر يبتعد عنها ومن الجائز جدا ان يكون داخل الاسره الواحده او المحل الواحد او العشيره الواحده

او الطبقه الواحده عده انتماءات سياسيه وقد وجدنا ذلك في مجتمعنا بشكل واضح فكيف تستطيع ظاهره الولاء او قاعه الولاء بكاملها نقل افرادها كافه الى حركه سياسيه واحده اين الاسناد التاريخي لهذه النقله الولائيه القوقعيه فضلا عن ذلك الم يكن للفرد العراقي وعي سياسي وثقافه عامه وخاصه تحدد انتماءه السياسي وهل تقبل الحركه السياسيه ان تعبر عن مجموعه افراد ينتمون الى اسره واحده او محل واحده او عشيره؟

٣- عدم ثبات سلم الولاءات في وجدان الشخصيه العراقيه ((يولف العراقي في وجدانه تاليفا متناقضا ومتحركا سلما من الولاءات التي تتغير على درجات السلم في حركه دائبه من الصعود والهبوط فهو مره يضع الاسره او القبيله او المحله او المدينه ومره اخرى يضع الطائفه او الطبقه فوق كل اعتبار ويرتبط بكل دور معين يقوم به الفرد العراقي فتتخذ خطوط حياه الفرد العراقي اليوميه بحدود تلك القواقع الولائيه فيها يولد ويتلع ويكبر وفي اطالها يتزوج ويربي اطفاله وفيها يموت ويحفر قبره))(الطاهر ١٩٦٩ ص ٣٨) لو اخذنا بهذا السبب فانه لا يؤدي الى القلق ولا يعبر عنه لانه يشير الى الحركه الذائبه في الاتصال والتفاعل المستمر مع شرائح المجتمع كافه وغير متقوقع في انتماء اجتماعي واحد وانه وجدانه وتكامل مع الانتماءات الاجتماعيه كافه وليس متناقض لانه انتمى اليها بحكم قراره وارتبط بها عضويا واجتماعيا وهذا لا يؤدي الى تناقض في ارتباطاته ولا تغرس التناقض في وجدانه لعدم تناقضها بل انسجامها.

٤- الانعزال الاجتماعي:((تعزل القواقع ابناء المجتمع الواحد عزلا افقيا وراسيا لانه بذل في وجدانها قيم بدوره من التجهيزات والتعصبات التي هشمت المجتمع الى اجزاء متهاويه قشريه وسطحيا ومتناقضه في الاعماق وكثير ما يحدث ان يقفز الفرد من مستوى قوقعي الى مستوى اخر حتى مسار من الصعب حقا معرفه نقاط الانتماء والتشابك ونقاط الانطلاق وكان حصيله ذلك الواقع الموضوع القلق ان تعايشت في وجدان الشخصيه العراقيه مستويات مختلفه من الحرمان والتذمر والقلق تؤثر في توجيه السلوك واتخاذ المواقف)) (الطاهر ١٩٦٩ ص ٣٩) اللافت النظر في هذا السبب فقدان الصوره المنطقيه الواقعيه المنسجمه فيه فهل يعقل ان يكون المعزول اجتماعيا والمتعصب انتماءات الاجتماعيه الذي يتناقض مع انتماءات اجتماعيه اخرى ان يقفز من انتماء الى اخر بحيث يصعب معرفه نقاط انتمائه اين الاسناد الواقعي واين وجدت الصوره ان مثل هذه الشخصيه غير وارده في الدراسات الاجتماعيه الكلاسيكيه والمعاصره بعدم دقه وتناقض وصعوبه تصديق الابتعاد عن الواقعيه الاجتماعيه ولفقدان الادوات المنهجيه المستخدمه في الدراسه.

وفي عام ١٩٧١ تراجع الدكتور الطاهرعن تحديد اسباب القلق في الشخصيه العراقيه لاسباب نضج ملاحظاته او اكتشافه لاسباب جديده او ظهرت له بان دراساته السابقه تحتاج الى اعاده نظر بل لرد فعل سلبي دراسه الدكتور الوردي في موضوع الشخصيه العراقيه وسنعرض التناقضات المستمره في الرؤيه والتحليل والاندفاع الشخصي حيث قال ((الحقيقه ان قلق الشخصيه العراقيه ناتج عن التناقضات المستمره القائمه بين الادوار

المتعدده التي تقوم به في البيت والمزرعه والمصنع والمدرسه والنادي والنقابه والمقهى والوظيفه ومجالس الانس ومثامره وغيرها بحيث يصعب احيانا التوفيق بين كل تلك الادوار لان كل دور يرمز الى مستوى معين في اعمال الشخصيه العراقيه ولكن هذا القلق ليس مرض وانما ينبوع لتحفيز العراقي على الحركه والديناميكيه والابداع. انها شخصيه قلقه محلله تحلل الاشياء والموضوعات تعيد تركيبها وبنائها من جديد حتى لو كانت منحصله في البداوه والحضاره ومتمسكه بها لما استطاعت ان تبدع في اللغه والادب والنحو والفقه والكلام والفلسفه والقانون ان الصراعات والتناقضات التي تسخر بها الشخصيه العراقيه متعدده وكثيره منها التناقضات بين الطبقات الاجتماعيه وبين الاستعمار والقوميه بين الانظمه القطاعيه والاشتراكيه بين المدينه والريف بين المنتجين والمستهلكين بين الجيل القديم والجيل الصاعد بين العناصر والديانات والعشائر وبين اللون الابيض والشعوب الملونه بين الطوائف وبين الاجناس بين الرجال والمراه هل يمكن ان تختزل كل هذه التناقضات الى مجرد تناقض واحد بين (البداوه والحضاره) انه جزء من المنهج المثالي القديم انه منهج العصور الوسطى انه منهج انهزامي يلفت عنقه الى الماضي البعيد انه يجد فيه ملجا ومهربا في دراسه الواقع (الطاهر ١٩٧١) لنفرض ان تحليل استاذ الطاهر هذا اقرب الى الصواب ولا علاقه له برد الفعل السلبي تجاه الوردي فهل يعقل ان تتحمل وتستوعب الشخصيه العراقيه هذا الكم الكبير من الصراعات واذا كان واقعيا فاذا استمرار وجود ضرب من ظروب الاستحاله لناخذ مثلا بسيطا منطلقا من الصراعات التي اوردها الدكتور الطاهر منها :

متى كان الصراع دائما بين الرجل العراقي والمراه العراقيه عبر التاريخ ولحد الان ان اسرتنا ابويه بنبتتها وسلطتها وحتى في الوقت الحاضر التي تحببت المراه في العديد من القيود الاجتماعيه وحصلت على العديد والمكاسب المعنويه والقانونيه لم تتصارع مع الرجل بل ساعدته في اتجاه العديد من النشاطات الاسريه وسواها مثل اخر متى حصل في الشخصيه العراقيه بين اللون الابيض والشعوب الملونه لم يحصل هذا النوع من الصراعات في تاريخ المجتمع العراقي ومتى اصبح الصراع بين العناصر والديانات في المجتمع العراقي ظاهرا ان هذا التصوير بعيد كل البعد عن الواقع الشخصيه العراقيه وانه مجرد كلام غير واقعي ومنطقي ولا يمكن الركون عليه في الدراسات الاجتماعيه الموضوعيه